العــرب

بلاد العرب:

عُرفت بلاد العرب عند مؤرخي اليونان والرومان باسم Arabia، بينما عرفت عند مؤرخي العرب وجغرافييهم باسم «جزيرة العرب»، وهي تسمية مجازية لأن بلاد العرب ليست جزيرة وإنما شبه جزيرة، ولكن العرب كانوا يسمون شبه الجزيرة جزيرة، فهم يسمون شبه جزيرة أيبيريا جزيرة الأندلس، ويسمون ما بين النهرين في العراق. بجزيرة أقور. وقد سموا بلاد العرب بجزيرة العرب «لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك أن الفرات القافل من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبادان»[1].

وتختلف بلاد العرب من حيث طبيعتها باختلاف أجزائها، فالقسم الأكبر منها بادية تتخللها واحات وجواء أو أغوار تتجمع فيها مياه الأمطار أو تتسرب في الأرض، أما الوديان فقليلة وتقع في أطراف شبه الجزيرة. وقد كان ذلك الاختلاف الواضح في طبيعة بلاد العرب الجغرافية سبباً في وجود نوعين من السكان: البدو، ويعرفون أيضاً باسم الأعراب، ويسكنون في البادية، وهم أهل الوبر. والنوع الثاني من السكان هم الحضر ويسكنون في المدن، ويشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة. وهم أهل المدر أو أهل الحجر أي سكان المدن. وقد قسم اليونان والرومان بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام طبيعية تتفق مع الناحية السياسية التي كانت عليها بلاد العرب في القرن الأول الميلادي هي:

١- الهمداني، كتاب صفة جزيرة العرب، نشره المؤرخ محمد عبد الله بن بليهيد النجدي، القاهرة ١٩٥٣، ص ٤٧.

١- بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea وتقع في الشمال من بلاد العرب، جنوب غربي بادية الشام حيث مملكة الأنباط.

٢- بلاد العرب السعيدة Arabia Felix، والمقصود بها بلاد اليمن أو الأرض الخضراء.

٣- بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta، وكانت تطلق على بادية الشام، ثم شمل اسمها البادية الواسعة والمناطق الصحراوية التي كانت تسكنها القبائل المتبدية في شبه جزيرة العرب كلها.

وبلاد العرب الصحراوية في الواقع هي القسم الأعظم من هذه الأقسام الثلاثة لكثرة صحراواتها في الوسط والشمال والجنوب، والصحراء العربية تتنوع وتختلف من موضع إلى آخر، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام.

١- الحرات أو الحرار:

وهي أرضٍ ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار، وتكونت هذه الحرار بفعل البراكين، بل هي أثر من آثار ما تخرجه البراكين من جوفها.

والحرار كثيرة في بلاد العرب، وتتبدى من شرقي حوران، وتمتد متناثرة حتى المدينة[١]، وقد أحصى ياقوت منها تسعاً وعشرين حرة من بينها حرة أوطاس وحرة تبوك وحرة تقدة وحرة حقل وحرة الحمارة، وهي حرات ذكرت في أيام العرب[٢].

٢- الدهناء أو صحراء الجنوب:

تشغل هذه الصحراء مساحة كبيرة من شبه جزيرة العرب، فهي تمتد من صحراء النفوذ، المسماة قديماً بادية السماوة، شمالاً إلا حضرموت في الجنوب، ومن اليمن غرباً إلى عمان شرقاً، وتقدر مساحتها بخمسين ألف ميل مربع، وتخترقها تلال رملية أو كثبان تتموج مع الرياح وتنتقل معها عند الهبوب، وتعرف الأجزاء الجنوبية منها في الوقت الحاضر باسم (الربع الخالي) لخلوها من الناس. أما القسم الغربي من الدهناء فيطلق عليه اسم (الأحقاف). وأرض الدهناء على الرغم من جفافها وخلوها من الماء كانت إذا

١- أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢، جواد علي ج١ ص ٨٩.

٢- د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ٦٤-٦٥.

سقطت عليها الأمطار الموسمية نبتت فيها الأعشاب مدة ثلاثة أشهر، ولعل الدهناء سميت بذلك الاسم لاختلاف النبت والأزهار في عراضها، لأن الدهان يعني الأديم الأحمر[1].

٣- صحراء النفوذ:

تقع في شمال الجزيرة العربية، وتمتاز بكثباتها الرملية الناعمة اللينة التي يصعب على المرء أن يسير فيها، إذ يبلغ ارتفاع بعض هذه الكثبان نحو ١٥٠ متراً. وتمتد صحراء النفوذ على مساحة كبيرة من الأرض فيبلغ طولها من واحة تيماء إلى الشرق نحو ٤٥٠ كيلومتراً، وعرضها من واحة الجوف إلى جبل شمر بنجد إلى ٢٥٠ كيلومتراً[2].

أقسام جزيرة العرب:

ويقسم العرب بلادهم خمسة أقسام كبرى هي: تهامة ونجد والحجاز والعروض واليمن.

١- تهامة:

تشمل المنطقة الساحلية الموازية لامتداد البحر الأحمر من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً، ويحجزها عن داخل شبه الجزيرة سلسلة جبال السراة أعظم جبال العرب. وقد سيمت تهامة بذلك الاسم من التهم، وهو شدة الحر وركود الريح، لشدة حرها وركود ريحها، وقيل سميت كذلك لتغير هوائها.

ومن مؤرخي العرب من يجعل مكة من تهامة، ومن تهامة أيضاً ينبع وهي مدينة صغيرة تقع قريباً من البحر. ومنها أيضاً جدة فرضة مكة وكانت عامرة بالتجارة. ومن تهامة كذلك الحديبية وتبوك وهي واحة تقع بين الحجر وبين أول الشام.

٢- نجد:

هي الهضبة الوسطى في شبه جزيرة العرب، وتقع بين بادية السماوة في الشمال والدهناء في الجنوب وأطراف العراق شرقاً والحجاز غرباً، وهي أوسع أقاليم جزيرة العرب، وتتخللها أودية كثيرة منها وادي الرمة وروافده، ووادي حنيفة، وكان يسمى

١- د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٦٨-٦٩.

٢- المرجع نفسه، ص ٦٩.

فلجاً، ووادي عاقل، لذلك كانت نجد أطيب أراضي الجزيرة العربية، فترنم الشعراء برباها ورياضها[1].

٣- الحجاز:

الحجاز ما بين تهامة ونجد، وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وسمي بهذا الاسم لأنه يحجز بين نجد وتهامة، وامتداده بينهما بحذاء الساحل، ويقال أيضاً أنه سمي حجازاً لأنه يحجز بين الغور والشام، والأرجح التعليل الأول. ويضم الحجاز من المدن المدينة والطائف وخيبر وفدك والجار فرضة المدينة وتيماء.

٤- العروض:

تشمل اليمامة والبحرين وما والاهما، وقد سميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق. وكانت اليمامة تسمى قديماً جواً وذلك عندما نزلتها طسم وجديس، فعرفت باليمامة، نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم.

٥- اليمن:

منطقة واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض، وسميت بذلك الاسم لتيامن العرب إليها، لأنها أيمن الأرض. والأرجح أنها سميت اليُمن من يمنات الواردة في نص يرجع إلى أيام الملك شمر يهرعش. ولعل يمنات من اليمن والخير، لما أودع الله فيها من البركة، ولذلك عرفت عند العرب بالخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها، وأشجارها وثمارها، كما عرفت عند اليونان ببلاد العرب السعيدة.

المناخ:

يسود الجفاف شبه جزيرة العرب بوجه عام، والمطر يندر سقوطه، ولذلك فإن أكثر أراضي جزيرة العرب صحراوية، ومع ذلك فهنالك أودية كثيرة تسيل فيها المياه في موسم الأمطار، وهي أودية شديدة الانحدار تصب في البحر الأحمر أو في بحر العرب، والأمطار تسقط في الخريف والشتاء في الشمال، بينما تسقط في الصيف في بلاد اليمن. وإذا سقط المطر في البادية فإنه يتسبب في إنبات عشب وشيك ينمو سريعاً

١- د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٧١.

ثم يذوي سريعاً، ولذلك فإن الحياة في البادية هي التي أملت على البدوي الترحال والانتقال حيث موارد المياه والعشب.

النبات والحيوان:

أما النبات في نجد والحجاز وشرقي بلاد العرب، حيث توجد المياه، نباتات منطقة البحر المتوسط: النخيل والتين والزيتون والرمان والكرم (العنب) وسائر أنواع الفاكهة ثم القمح والشعير والذرة وسائر الجنوب[1].

والنخلة أهم الأشجار في الجزيرة كلها. ويتردد على ألسنة شعراء نجد طائفة من الأزهار على رأسها العرار والخزامى وطائفة من الأشجار على رأس الغضا والأثل والأرضي والسدر (الطلح) والحنظل والضَّال والسَّلم.

أما الحيوان فقد صور شعراؤهم كثيراً من أليفه مثل الخيل والإبل والأغنام، ووحشية مثل الأوعال والظباء والنعام والغزال والزراف وحمار الوحش واتنه وثور الوحش وبقره، ومثل الأسد والضبع والذئب والفهد والنمر.

ودارت الطيور الجارحة على ألسنتهم مثل الحدأة والنسر والغراب، وقلما وصفوا منهلاً دون أن يذكروا القطا وهو يشبه الحمام. وذكروا كثيراً الجراد، وتحدثوا عن النحل واشتهرت به هذيل التي كانت تعنى ببيوته وخلاياه. ومن زواحفهم الثعبان والعقرب والورل والضب، وفي أمثالهم: «أعقد من ذنب الضب»[2].

الساميون والعرب:

كان المؤرخون الغربيون يقسمون الجنس البشري ثلاثة عروق: العرق السامي والعرق الحامي والعرق اليافثي (الآري) نسبة إلى أولاد نوح الثلاثة سام وحام ويافث، بناء على ما جاء في التوراة، ثم فقدت هذه التسمية قيمتها لأن العروق البشرية أكثر من ثلاثة ولأن ثلاثة نفر أبناء رجل واحد لا يمكن أن يخرج منهم ثلاثة عروق متباينة بمثل السرعة التي تخيلها أولئك المؤرخون[3].

١- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ط ٧ دار المعارف بمصر، ص ٢١.

٢- المرجع نفسه.

٣- د. عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت ط ٢ ١٩٨٤ ص ٣٧.

شاع استخدام مصطلح (الشعوب السامية) طويلاً ويتعرض في السنين الأخيرة إلى نقد شديد. وكان شلوتزر عام ١٧٨١ قد أطلق على عدد من اللغات تتشابه فيما بينها في مفرداتها وصيغها الفعلية وفي بنيتها وقواعدها من بينها الفينيقية والعربية والعبرية والآرامية والحبشية اسم: اللغات السامية.

واستناداً إلى ذلك أخذ المؤلفون في الغرب يتحدثون عن الشعوب السامية وحضاراتها. ولكن من الواضح أن هذا الاصطلاح غير دقيق لأنه بني على أساس تصور الكاتب التوراتي المصطنع للجغرافية البشرية وللقرابة بين الشعوب، ولاختلاف المصادر التي اعتمد عليها في صياغة نصوص الأسفار التاريخية خلال المراحل الطويلة التي استغرقته كتابتها وتم فيه جمعها بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس قبل الميلاد.

فبحسب الأسفار يكون الكنعانيون من الحاميين وكذلك الآشوريون والبابليون والمصريون، أما العبريون فهم من أبناء سام، وإذا رجعنا إلى المصدر اليهووي (نسبة إلى يهوه)، ولكن الكنعانيين وسائر شعوب سورية وبلاد الرافدين يصبحون ساميين بينما ينسب أبناء مصر والجزيرة العربية إلى حام حسب المصدر الكهنوتي الرباني، وهو الذي يعكس التصورات الجغرافية بعد العودة من السبي البابلي (القرن السادس). وقد انعكس هذا التصور التوراتي للشعوب وأنسابها وحضاراتها ولغاتها وأوطانها وحدودها على التصور العام لتاريخ المنطقة القديم وحضارتها، ونجم عند ذلك اضطراب شديد في المفاهيم كان من أخطر نتائجه هذا الفصل الشديد بين مصر وحضارتها من جهة، وحضارة شعوب المشرق العربي في سورية وبلاد الرافدين من جهة أخرى. أما النتيجة الثانية فهي استبعاد البحث في تاريخ شبه جزيرة العرب القديم في إطار البحث في تاريخ الشرق القديم[1].

إن شبه المجمع عليه أن الشعوب التي سكنت بلاد العراق والشام وتفرق جماعات منها في شمالي أفريقيا كله قد خرجت من شبه جزيرة العرب في أزمنة متعاقبة: إن الأكاديين والبابليين والآراميين والفينيقيين عندما انتقلوا إليها لم تكن خالية من الشعوب. فاختلط الساميون الطارئون بتلك الشعوب. ولقد اتفق للعرب الذين بقوا في شبه الجزيرة أيضاً، ولا سيما في اليمن وعلى السواحل الجنوبية والشرقية شيء من

١- د. محمد حرب فرزات، موجز في تاريخ سورية القديم، جامعة دمشق ١٩٨٣، ص ٩٠-٩١.

الاختلاط بشعوب أخرى: إن العنصر الإفريقي بارز جداً في جميع سواحل شبه الجزيرة، وكذلك العنصر الأسيوي (من الفرس والهنود خاصة) ظاهر الأثر على الساحل الشرقي.

فإذا قلنا نحن اليوم «ساميون» فإننا لا نعني أقواماً خالصي النسب بقدر ما ندل بذلك القول على جماعات تتكلم لغة ذات خصائص يقال فيها إنها سامية[1].

وتساءل العلماء عن المهد الأصلي لأسلاف الناطقين بهذه اللغات السامية المختلفة، وتعددت إجاباتهم في هذا الصدد، فمن قائل إنهم نشؤوا مع الحاميين في موطن واحد لعله شمالي أفريقيا أو في ناحية الصومال، ومنه هاجر الساميون إلى بلاد العرب عن طريق باب المندب أو عن طريق شبه جزيرة سيناء، ومن قائل إنهم نشؤوا مع الآريين في أواسط آسيا أو في أرمينيا، ومن قائل إنهم نشؤوا في شمال سورية، ومن قائل إنهم نشؤوا فيما بين النهرين ومهما يكن المهد القديم لأصل نشأتهم الذي يتعمق في عصور ما قبل التاريخ فإن الباحثين يتفقون على أن موطنهم في العصور التاريخية هو الجزيرة العربية، فقد نزلوا بها واستقروا فيها وعاشوا حياة مشتركة اكتسبوا خلالها هذا التشابه في لغاتهم[2].

وأهم النظريات في نظر المؤرخين والعلماء - هي نظرية «وينكلر وكايتاني» التي تقول إن الجزيرة العربية كانت أرضاً خصبة في تاريخها القديم وإنها مهد العرق السامي.

يرجح هذان العالمان أن الساميين كانوا يقطنون في الأصل الجزيرة العربية، فلما تغير المناخ تدريجياً وبدأ الجفاف يغزو أرضها تناقص عدد السكان وانتقلوا إلى حياة البداوة وهاجر عدد منهم إلى أطراف الجزيرة حيث الخصب والماء الوفير. ونحن وإن كنا لسنا في موضع اليقين في تفضيلنا لنظرية على نظرية إلا أننا نلاحظ أن هناك الكثير مما يؤيد النظرية الأخيرة التي تقول إن الجزيرة العربية هي مهد الساميين. وأهم الحجج التي يوردها مؤيدو هذه النظرية هي التالية:

١- د. عمر فروج، تاريخ الجاهلية، مرجع سابق، ص ٣٨.

٢- د. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣.

١- إن العرب منذ أقدم العصور التاريخية المعروفة كانوا أوفر الأمم حظاً من الصفات والعادات الاجتماعية التي يتصف بها الساميون، ولغتهم أقرب اللغات إلى الأصل السامي وأنقاها.

٢- تشكل الصحارى الجزء الأكبر من سطح شبه الجزيرة العربية، وتحيط بهذه الصحارى حافة ضيقة من الأرض هي الجزء الوحيد الذي يصلح للسكن والاستقرار، ويحيط بهذه الحافة البحر. وحين يزداد عدد السكان عن طاقة الأرض واحتمالها وما تستطيع إنتاجه من الغذاء ووسائل المعاش، ولم يكن باستطاعتهم أن يجدوا هذا المجال ضمن الجزيرة أو في قلبها بسبب الطبيعة الصحراوية السائدة في أغلب أجزاء الجزيرة الداخلية، لذلك كانوا يسلكون طريق الساحل الغربي للجزيرة فينطلقون نحو الشمال إلى سيناء ومنها إلى وادي النيل الخصيب.

وقد سلك هذا الطريق، طريق أفريقيا الشرقية، فريق من الساميين نحو سنة ٣٥٠٠ ق. م واستقروا في مصر مع سكانها الحاميين وتمازجوا معهم، وظهر من هذا المزيج المصريون القدماء الذين ساهموا بقسط وافر في الحضارة الإنسانية. وفي الفترة نفسها أي نحو أواسط الألف الرابع قبل الميلاد هاجر الأكاديون الذين استوطنوا العراق وكونوا الدولة الأكادية التي استطاعت في زمن الملك سرجون الأول أن توجد العراق وأن تمد نفوذها إلى أعالي دجلة.

ولما حل الساميون في وادي الرافدين الذي كان يسكنه السومريون المتحضرون، كانوا في حال بداوة وجهل ولكنهم ما لبثوا أن تعلموا من السومريين فن بناء المنازل ووسائل الري والكتابة وغير ذلك.

ومن اختلاط السومريين غير الساميين بالموجة السامية الجديدة نتج البابليون الذين قدموا للحضارة الإنسانية الكثير من ميراثها الثقافي.

ونحو منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ٢٥٠٠ حدثت هجرة سامية أخرى حملت العموديين إلى الهلال الخصيب، كما حل الكنعانيون والفينيقيون غربي الشام وفلسطين.

وبين سنتي ١٥٠٠-١٢٠٠ ق.م هاجر العبرانيون إلى جنوب بلاد الشام أي فلسطين، والآراميون (السريان) إلى الشمال وحلوا في منطقة سهل البقاع بين جبلي لبنان الشرقي والغربي.

ونحو سنة ٥٠٠ ق. م حل الأنباط في الأرض الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء في منطقة وادي موسى وأنشؤوا عاصمتهم البتراء. كما حل التدمريون في الصحراء السورية وأنشؤوا حضارة زاهية لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم.

وفي القرن السابع للميلاد اندفعت الموجة الأخيرة من قلب الجزيرة العربية فخرج العرب يحملون راية الإسلام، ونشروا الدين الجديد في بقاع واسعة من المعمورة.

درس العلماء هذه الهجرات وتوصلوا منها إلى القول بأن الجزيرة كانت في حقب متلاحقة تبلغ الألف سنة تقريباً تزدحم بالسكان وتصبح كخزان يضيق بما فيه ولا يجد بداً من أن يدفع بالفائضين عن سعته. وهكذا كانت تحدث هذه الهجرات عندما يزداد سكان الجزيرة وتقل فيها الموارد الغذائية عن حاجة السكان، فتتركها كتل بشرية وتخرج باحثة عن الغذاء والماء في مواطن جديدة تستقر فيها، وقد سمى العلماء هذه الهجرات بالموجات[1].

أصل العرب:

إن القرائن والدلائل المتوفرة لدينا تشير إلى أن سكان المناطق المرتفعة من اليمن هم أقرب الناس من حيث الصفات العرقية إلى من يسميهم علماء الأقوام بعرق البحر المتوسط.

إن العرب قبل الإسلام كان عندهم آراء ونظريات تشرح أصلهم وتبين نسبهم.

يرى النسابون العرب، أن العرب عرق لا جماعة من الناس فقط يتكلمون لغة واحدة، ويتألف هذا العرق من عدد من الرجال والنساء لا حصر لهم ينحدرون من أحد جدين (قحطان وعدنان) لا نعلم ما إذا كانت - أي هذين الجدين - يمتان لبعضهما بصلة القرابة أم لا. وهناك خلاف كبير بين النسابين حول نوعية الصلة أو القرابة التي تربط بين هذين الجدين اللذين ينحدر منهما العرق العربي، المهم أن اعتقاد النسابين العرب بوجود جدين للعرق العربي قد أدى إلى الكثير من المشكلات وكان له أثر كبير على سير تاريخ العرب والإسلام.

يبدأ النظام الذي وصفه النسابون العرب بالقبائل التي كانت في نظرهم السكان الأصليين للجزيرة العربية: عاد وثمود، إرم وجرهم، طسم، وجديس التي

١- د. نبيه العاقل، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، جامعة دمشق ١٩٨٢، ص ١١-١٣.

انقرضت كلها قبل ظهور الإسلام. وعلى الرغم من الشك الذي يبديه بعض المؤرخين حول وجود قبائل كعاد وإرم، فإن القبائل الأخرى كثمود وغيرها لا خلاف مطلقاً على حقيقة وجودها التاريخي. أما معلوماتنا عن هذه القبائل فقليلة جداً ويكتنفها في أغلب الأحيان الغموض، وكل ما يمكننا أن نقوله بثقة أن هذه القبائل كانت قبائل عربية وتعرف باسم (العرب البائدة). وقد أوقع الله بهذه القبائل العقاب وأبادهم لأنهم عصوا أنبياءهم ولم يسيروا في الطريق السوي التي أمر بها الله. وعلى الرغم من ما أدعته بعض القبائل والأشخاص في العصور المتأخرة من أنهم ينحدرون من نسل هذه القبائل، فإن النساب ابن حزم المتوفى سنة (٤٥٦ هـ -١٠٦٤م) يذهب إلى القول بأنه لا يوجد على سطح الأرض شخص يمكنه أن يثبت أنه من نسل هذه القبائل البائدة.

وبعد عرض هذه المعلومات المقتضبة عن «العرب البائدة» ينتقل النسابون العرب للحديث عن الجدين اللذين ينحدر منهما العرب وهما (قحطان وعدنان). وبما أن جميع البشر ينحدرون من آدم، فإنه لا بد من وجود قرابة - ولو بعيدة - بين هذين الجدين.

ومسألة القرابة بين قحطان وعدنان تتوقف على ما إذا كان قحطان هذا من نسل إسماعيل الذي هو جد عدنان. وتكاد تجمع كلمة النسابين على أن قحطان ليس من نسل إسماعيل، ويعيدون نسبه إلى سام بن نوح. والعرب الذين انحدروا من نسل قحطان هم الذين يطلق عليهم النسابون اسم: العرب العاربة، أو العرب العرباء (أي العرب الحقيقيين). وأما نسل عدنان فهم العرب المستعربة أو المتعربة (أي الذين لم يكونوا عرباً واستعربوا).

هذا التقسيم للعرب هو التقسيم الأكثر شيوعاً بين النسابين، وهناك تقسيمات أخرى تعطي اسم العرب العاربة للعرب البائدة وللذين انحدروا من نسل قحطان. وهناك تقسيم ثالث يسمي العرب المنحدرين من نسل قحطان باسم العرب المتعربة، والمنحدرين من نسل عدنان باسم المستعربة، وواضح من هذه التقسيمات والأسماء أن نسل قحطان هم أقرب إلى الصفاء العرقي من نسل عدنان، أو بكلمة أخرى هم العرب الأصليون.

إن نسل قحطان هم عرب الجنوب (قبائل اليمن) الذين نشؤوا في الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة، في حين أن نسل عدنان هم عرب الشمال الذين ظهروا أول ما ظهروا في القسم الشمالي من شبه الجزيرة.

ولسنا نملك من الأدلة العلمية ما يثبت صحة هذا التقسيم أو بطلانه، وهناك بعض المعلومات الثابتة الصحة التي تتناقض مع بعض تفاصيل هذا التقسيم[1].

كان يؤمن العرب بالأنساب إيماناً شديداً، وظلوا على هذا الإيمان في الإسلام، فتكتلوا على أساسها في مجموعتين كبيرتين: مجموعة قحطانية يمنية، وقد هاجر هذا القسم من الجنوب، من اليمن وحضرموت وعاش بين العرب الشماليين. ومجموعة مضرية عدنانية وهم عرب الشمال المنحدرون من عدنان ونزار ومضر، وكان التنافس شديداً بين الطرفين، وكثيراً ما جر إلى منازعات في الكوفة والبصرة كما جر إلى حروب في الجيوش المقاتلة في أقصى الشرق بخراسان وفي أقصى الغرب بالأندلس، فكانت تتجمع عشائر كل فريق حين تصطدم مصلحة عشيرة يمنية بمصلحة عشيرة مضرية، وسرعان ما تنشب بين الفريقين معارك دامية.

ومن المؤكد أن عرب الجاهلية كانوا يتمسكون بهذه الأنساب وعنهم ورثها أبناؤهم في الإسلام، وهي تؤلف علماً واسعاً عند العرب هو علم الأنساب، وكأنهم رأوا في النسب ما نراه نحن الآن في الوطن[2].

والكتابات المصرية تذكر الآمو أو (العمو) بمعنى البدو أو الآسيويين خاصة في علاقاتها مع شبه جزيرة سيناء، حيث كانت تستثمر مناجم الفيروز والنحاس في وادي المغارة.

ولقد ورد في النقوش المستخرجة من جنوب الجزيرة العربية أقدم الإشارات العربية المكتوبة إلى كلمتي «عربي» و«عرب». ففي هذه النقوش التي هي من مخلفات الحضارات العريقة التي قامت على أرض اليمن والتي أبدعها فرع عرب الجنوب في الفترة الواقعة بين القرون القليلة السابقة على ظهور السيد المسيح، والقرون القليلة التالية لظهوره نجد أن كلمة «عربي» تستعمل بمعنى «بدوي» أو «غازي»، وتصف الإنسان المرتحل تمييزاً له عن ساكن الحواضر المستقر. أما أقدم ذكر للعرب في نقوش مستخرجة من شمال الجزيرة العربية فيقع في النقش المعروف باسم نقش «النمارة» الذي يعود للقرن الرابع قبل الميلاد، وفيه نقرأ اسم امرئ القيس «ملك جميع العرب». وهذا النقش مكتوب على طريقة الكتابة النبطية الآرامية.

١- د. نبيه العاقل، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، جامعة دمشق ١٩٨٢، ص ٣٢-٣٣. وحول انساب العرب، راجع: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ٢٢٠ وما بعدها.

٢- د. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٥٧.

وحين قام الإسلام في القرن السابع الميلادي استمرت الصلة الواضحة بين كلمة «عرب» ومعنى البداوة. فالقرآن الكريم يطلق كلمة «الأعراب» على البدو تفريقاً لهم عن السكان الحضر الذين كانوا يعيشون في المدن كمكة والطائف وغيرها.

ويسمي القرآن الكريم اللغة التي يتكلمها سكان هذه المدن بالعربية. وفي هذا نجد تفسيراً للفكرة التي كانت سائدة آنذاك والتي تتلخص في أن «الأعراب» أي سكان البادية، كانوا أفصح وأقوم لساناً من سكان الحواضر الذين داخلت لغتهم العربية عجمة نتجت عن اختلاطهم بأقوام أخرى غير عربية[1].

ويظهر العرب لأول مرة على مسرح التاريخ سنة ٨٥٤ ق. م، فقد انضم في هذه السنة جنديبو Gindibu أو «جندي العربي» مع ألف من رجاله راكبي الجمال إلى (بير إيدري) الدمشقي الآرامي، واشتبكوا في موقعه قرقر (شمال غرب حماه) ضد شلمنصر الثالث الآشوري. وقد كان الفوز في هذه المعركة حليف شلمنصر الذي يقول في وصف هذه المعركة وانتصاره على أعدائه: «قرقر عاصمته الملكية أنا خربتها، أنا دمرتها، أنا أحرقتها بالنار، ١٢٠٠ مركبة، ١٢٠٠ فارس، ٢٠٠٠ جندي لحدد عازر صاحب آرام دمشق، ١٠٠٠ جمل لجندي العربي... هؤلاء الملوك الاثنا عشر الذين استقدمهم لمعونته، برزوا إلى المعركة والقتال، تألبوا علي»...[2] وإن اللقب «ملك العرب» لم يكن يعني - في ذلك الوقت - أكثر من رئيس للبدو أو شيخ قبيلة.

ومن الطرافة أن يقترن ذكر أول عربي في التاريخ بذكر الإبل. ثم يتوالى ظهور العرب على مسرح الأحداث في زمن الدولة الأشورية والكلدانية والفارسية ثم الرومانية.

الجاهلية وأهلها:

الجاهلية هي الزمن الذي مر قبل الدعوة الإسلامية، أو قبل الهجرة على الأصح، ذلك لأن الحكم السياسي والنفوذ الاجتماعي كانا لا يزالان قبل الهجرة للمشركين من العرب. والجاهلية اسم أطلقه القرآن الكريم على تلك الحقبة من الزمن.

١- د. نبيه العاقل، تاريخ العرب القديم، ص ٤٤.

٢- المرجع نفسه، ص ٤٩.

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى . . . ﴾[1]

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ . . . ﴾[2]

مما تقدم، ومما وصف الله به العرب قبل الإسلام من غير أن يطلق عليهم لفظ الجهل هذا، ندرك أن الجاهلية مشتقة من «الجهل الذي هو ضد الحلم»، لا من «الجهل هو ضد العلم».

فأهل الجاهلية إذن هم العرب الذين عاشوا قبل الإسلام في بوادي شبه جزيرة العرب وفي مدنها الباقية، إذ كان يغلب عليهم التنازع والتقاتل والعداوة والثأر والتعاون على الإثم والعدوان وظلم بعضهم بعضاً بتقديم مصلحة قبيلة على قبيلة وتقديم مصلحة الفرد على مصلحة القبيلة، كلما وجد الفرد فرصة إلى ذلك. كما كان يغلب على جماعات منهم أحياناً وأد الأولاد وشرب الخمر ولعب الميسر وأخذ الربا والإسراف في الكرم[3].

البدو والحضر:

يعرف الحضر، وهم العرب المستقرون بـ (أهل المدر)، عرفوا بذلك لأن أبنية الحضر إنما هي بالمدر. والمدر: قطع من الطين اليابس. فأهل المدر، هم الحضر، لأن اتخاذ بيوت المدر لا يكون في البادية، بل في الحضر. وورد أن أهل البادية إنما قيل لهم (أهل الوبر) لأن لهم أخبية الوبر تمييزاً لهم عن أهل الحضر الذين لهم مبان من المدر، ومن هنا قيل للقرية (المدرة)، لأنها مبنية بالطين واللبن، وذكر أن (المدرة) القرية والمدينة الضخمة أيضاً، لأن المدن تبنى بالمدر أيضاً. ومن هنا قيل للحضر عموماً: بنو مدراء.

ويذكر علماء اللغة أن الحضر والحاضرة والحضارة خلاف البادية والبداوة والبدو. والحضارة الإقامة في الحضر. والحاضر والحضر هي المدن والقرى والأرياف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار. وقد

١- سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٢- سورة الفتح: الآية ٢٦.

٣- د. عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، ص ٥٢-٥٣.

عرفوا بأهل القارية، وذلك في مقابل أهل البادية، لأهل البدو. وتطلق لفظة (عرب) على أهل المدر خاصة، أي على الحضر و(الحاضر) و(الحاضرة) من العرب، أما أهل البادية فعرفوا بـ (أعراب). مع أن كلمة (العرب) قد أطلقت في لغتنا لتشمل العربين: عرب الحاضرة وعرب البادية[1].

وبين البداوة والحضارة فرق أساسي واحد: يكتفي البدوي بالضروري من أسباب المعاش، بينما يتوسع أهل الحضر في أسباب الترف من المطاعم والملابس والمساكن. من هذا الفرق الأساسي تتفرع جميع خصائص البداوة وجميع خصائص الحضارة المدنية بما في البداوة وفي الحضارة البدوية من المحاسن والمساوئ. وباستعراض الفصل الثاني من مقدمة ابن خلدون في العمران البدوي[2] نجد أن للبدو خصائص هي:

أ - الرحلة في طلب المعاش:

البدوي مضطر إلى الانتقال من مكان إلى مكان طلباً للماء والكلأ.

ب - القوة والشجاعة:

والبدو أصح أبداناً من أهل الحضر للنشأة الطبيعية ولصحة الهواء في البادية، ولذلك كان البدو أقل تعرضاً للأمراض وأقدر على احتمال المشاق والمجاعات. ثم أن البدو أكثر شجاعة لاضطراهم الدائم إلى الدفاع عن أنفسهم وأهلهم وعما يملكون في وجه العدو المغير وفي رد الحيوان المفترس. من أجل ذلك تصبح الشجاعة ويصبح القتال عادتين في البدوي ينشأ عليهما منذ الصغر.

ج - العصبية:

يقول ابن خلدون: «العصبية هي النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة. وتكون العصبية (الشعور بالصلة بين أفراد الجماعة الواحدة) بين أهل النسب الواضح (القرابة الظاهرة) ومن صاهرهم (تزوج نساء منهم أو تزوجوا هم من نسائه) أو انتسب إليهم بالولاء (دخل في حمايتهم أو أصبح رقيقاً عندهم) أو الحلف (المعاهدة)».

١- د. جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ومكتبة النهضة بغداد، ط٣، ١٩٨٠، ج ٤، ص ٢٧١-٢٧٢.

٢- الفصل الثاني: في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال.

وكلما كان عدد أهل العصبية أكثر كانت قيمتهم أعلى وكان نفوذهم أوسع وكان استيلاؤهم على الرئاسة أهون وتغلبهم على خصومهم أيسر. والأصل في العصبية القرابة من النسب. ولكن النسب لا قيمة له في العصبية إلا إذا رفده رابط من المصلحة أو الجوار.

د - الظلم والبر:

الظلم هو العدوان: أن تبدأ خصمك بالهجوم عليه قبل أن يتمكن هو من الهجوم عليك أو استلاب شيء مما تملك. قال زهير في معلقته:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم

وأما البر فهو طاعة القبيل: أن يطيع الفرد الجماعة التي ينتسب إليها ولو أضر ذلك بمصلحته هو. وأحياناً يضر البر بمصلحة الجماعة نفسها، ولكن ضرر الجماعة في موقف واحد (في معركة واحدة مثلاً) أفضل من تفسخها وتشتت أمرها بعصيان أفرادها لها.

وبلغ البر في الجاهلية إلى أن أصبح عرفاً يقوم مقام الدين والرابطة الاجتماعية والأخلاق الشخصية[1].

هـ - الحياة الفطرية:

إن البدوي أقرب بطبيعته إلى الخير، وبما أن الحياة البدوية تقوم على الضروري من أسباب الحياة، فإن البدوي إذا حصلت له أسباب الحياة الضرورية لم يبق له مطمع كبير في ما وراءها، على أن تنافس البدو على أسباب الحياة الأولى (على الماء والكلأ والماشية) شديد جداً يقود إلى الغزو والقتال أحياناً. من أجل ذلك فرضت البداوة على أهلها محامد تقاوم الشر الناتج من تلك المنافسة. فرضت عليهم الشهامة والنجدة والكرم وحب الضيافة والعفو عند المقدرة والوفاء بالعهد والأمانة والحفاظ على العرض وحماية الجار واللاجئ والمستغيث والدفاع عن الضعيف. فانحصرت المنافسة بعد ذلك بين قبيلتين: قبيل يملك أسباب الحياة فيضن بها على الذين لا يملكون ما يحتجون إليه منها، فعلى الغني في البادية أن يكون كريماً ينفق من ماله طوعاً على المحتاجين وإلا كان عرضة للمذمة والشتم، كما قال زهير في معلقته:

ومن يكُ ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم!

١- د. عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، ص ٥٨-٦٠.

والبدو بعيدون عن سياسة الملك وعن المداراة والمصانعة لأن هذه بعيدة عن الفطرة قريبة من ضرورة الرياء في المدن. ثم إن البدو لا قدرة لهم على الصناعات ولا حاجة بهم إلى التأنق فيها.

و - تطور الحضارة:

البداوة طور طبيعي في الحضارة. إن كل حضارة بدأت بدوية ثم تطورت بتوسع الناس في المطاعم والمساكن والحكم والسلوك والعلم حتى أصبحت حضارة مدنية كالتي نشهدها اليوم.

على أن نشوء الحضارة المدنية لا يقضي على الحضارة البدوية (أو العمران البدوي، كما يقول ابن خلدون)، بل تظل الحضارتان (أو يظل العمرانان) جنباً إلى جنب.

والبداوة ضرورية للحضر: إن أهل المدن قد جاؤوا كلهم من البادية التي ضاقت بسكانها أو جاؤوا من البادية إلى المدن لما زادت ثرواتهم وأحبوا التمتع بأسباب الترف، وأسباب الترف لا تكون في البادية أبداً بل في المدن. وكذلك الذين يقوون في البادية وتقوى عصبياتهم ينتقلون إلى الحضر لينشئوا الدول، فإن الدول القائمة على الملك (على قهر الرعية، على الطاعة) لا تكون إلا في الحضر. أما في البدو فإن الحكم يكون رئاسة بالعصبية (بتراخي الناس على تقديم واحد منهم ليحكم بينهم).

وأهل الحضر يعتمدون على البادية في استيراد المواد الأولية للطعام والصناعة، كما يعتمد البادية على الحضر في بيع منتوجاتها وشراء المصنوعات من المدن. وليس بالبدو حاجة إلى العلم الكثير، فإن العلم في الأصل، والتبحر فيه خاصة، من توابع الحضارة.

وكان البدو بطبيعة الحال أميين (لا يخطون ولا يقرؤون الخط). على أن نفراً من أهل المدن، وفي البوادي أيضاً، لم يكونوا أميين، غير أن القراءة والكتابة كانتا في الجاهلية (في البادية وفي المدن معاً) معروفتين، ولكن لم تكونا ثقافة عامة في الجاهليين[1].

١- د. عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، ص ٦١.

ولما كانت طبيعة الجفاف هي الغالبة على جزيرة العرب، كان لهذه الطبيعة أثرها في حياة العرب، فغلبت البداوة على الاستقرار، وأثرت في النظم والآراء السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية وفي سائر نواحي الحياة الأخرى. لقد حالت دون قيام المجتمعات الكبرى القائمة على الاستقرار والاستيطان واستغلال الأرض، وجعلت من الصعب قيام الدول الكبيرة في هذه البلاد، وتكوين حكومات تقوم على احترام حقوق جميع أبناء الحكومة دون نظر إلى البيوت والعشائر والقبائل والرئاسات.

وفي تلك المواضع التي توفرت فيها المياه من مطر وعيون وآبار ومياه جوفية قريبة من سطح الأرض ظهرت الحضارة على شكل قرى ومستوطنات وأسواق موسمية، كان لها أثر خطير في حياة العرب عموماً من عرب وأعراب. لما كان يقع فيها من اتصال أو من تبادل آراء بين الحضر والبدو، وبين هؤلاء جميعاً وبين الأعاجم الذين كانوا يؤمونها للاتجار بها بصورة مؤقتة أو دائمة، حيث كانوا يقيمون بها إقامة طويلة أو أبدية، وبالأعاجم الذين كانوا يقيمون فيها رقيقاً مملوكاً لمن اشتراهم من الملاكين. وبذلك حدث نوع من التلقيح في الآراء والأفكار وفي شؤون الحياة: تلقيح مهما قيل فيه وفي درجته، فإنه تلقيح على كل حال. وهذه المواضع هي التي كونت وخلقت تاريخ العرب فيما قبل الإسلام[1].

والحضر، وإن استوطنوا واستقروا في أماكن ثابتة، لم يكونوا حضراً بالمعنى المفهوم من اللفظة عندنا، فلم يكونوا على شاكلة حضر الروم أو الفرس، ولا على شاكلة حضر العراق أو حضر بلاد الشام من غير العرب. إنهم حضر من ناحية السكنى والاستقرار أي من ناحية تعلقهم بالأرض ونزولهم بها واستيطانهم فيها، وعدم ارتحالهم عنها على نحو ما يفعل الأعراب، واتخاذهم مساكن دائمة في مكان ما. أما من ناحية التفكير وطراز المعيشة ونظم الحياة الاجتماعية: فقد بقوا مخلصين لمثل البوادي ولطبيعتها في الحياة. فهم في قراهم ومدنهم (بيوت) و(بطون)، يقيمون في (شعاب) ولهم عصبية. وهم مثل الأعراب في أكثر مألوف حياتهم. وما زال هذا الطابع الأعرابي بادياً على حياة من نسميهم (المثقفين) الدارسين، ذلك لأن عقول هؤلاء المثقفين

١- جواد علي، ج٤، ص ١٨١-١٨٢.

وإن حشيت بالمعلومات وبالعلوم لم تتمكن مع ذلك من التخلص من إرث البداوة المستمدة من طبيعة الجو وأثرها في الناس، في الماضي السحيق وفي الحاضر، ومن طبيعة المجتمع الذي خلقته هذه الطبيعة وجبلت الناس عليه. ومن أهم صفاته: العنجهية، والتغني بذكريات الماضي والابتعاد عن الواقع وعن مشكلات الحياة العلمية واللجوء إلى العواطف والخيال، والإسراف في تمجيد النفس إلى حد أدنى إلى ازدراء كل ما هو غير عربي من إنسان ومن نتاج إنسان. أضف إليها (العصبية) بأنواعها: العصبية للأهل والعصبية للعشيرة ثم القبيلة فالحلف في حالة الأعرابية، والعصبية للأهل والبيوت والشعاب ثم للقرية أو المدينة. والقبيلة التي يرجع أهل القرى نسبهم إليها في الأخير، وذلك بالنسبة إلى أهل المدن. ثم الفردية المفرطة التي جعلت من الصعب على الفرد الانقياد لغيره والخضوع لأحد إلا إذا وجد نفسه أمام مصلحة خاصة أو أمام قوة، ذلك لأنه يرى نفسه أشرف الناس، وأن من المذلة خضوعه لحكم أحد، ولاسيما إذا كان من يحكمه من أناس هم دون أهله، ومن عشيرة دون عشيرته. ثم ليس هو من أهل الجاه ولا من أهل المال، فكيف يسلم أمره إليه؟[1].

والمشهور عند العرب وعند الأعاجم، أن العرب قوم يكرهون الزراعة والاشتغال بالحرف والصناعات، ويستخفون بشأن من يشتغل بها ويزدرونه، فلا يتزوجون منه ولا يزوجونه منهم. وينطبق هذا القول على الأعراب وعلى بعض الحضر إلى حد ما. لكنه لم ينطبق على كل العرب. فالعرب الحضر، الذين وجد الماء بغزارة عندهم، غرسوا الأشجار أيضاً وزرعوا، لم يجدوا في ذلك خسة ولا دناءة.

والعرب الذين توفرت لهم مواد العمل وظروف العمل، اشتغلوا بالحرف وبالصناعات، كما هو شأن الطائف والعربية الجنوبية (اليمن) بل وبعض رجال مكة أيضاً.

أما الذين ازدروها وكرهوها فهم الذين لم تتوفر لهم الأسباب التي تغريهم على الاشتغال بالحرف والصناعات، ولم تتوفر لديهم المواد الأولية ولا الظروف المساعدة على قيام الحرب. لذلك كرهوها كره من يكره شيئاً لأنه لا يملكه ولا يناله، أو لأن يده لا تصل إليه، ولو ملكه لغير حكمه من غير شك.

١- جواد علي، ج٤، ص ٢٨٤-٢٨٥.

وقد أمد أهل اليمن الحجاز وأماكن أخرى من جزيرة العرب بالسيوف وبمصنوعات المعادن وبالبرد والأنسجة الأخرى. كما عرفوا بإتقانهم البناء والنجارة وغير ذلك من حرف الحضر، التي أشير إليها في الشعر الجاهلي.

وقد عيب على أهل اليمن اشتغالهم بالحرف: كالحدادة والحياكة والصياغة وما شابه ذلك من حرف. ولكن من عابهم كان عالة عليهم وعلى غيرهم من أهل الحرف في أكثر الأمور التي كانت تخص شؤون حياتهم اليومية، كالسيوف والخناجر الجيدة مثلاً التي هي عماد المحافظة على حياة الإنسان في البادية.

كما اعترف لهم بالتفوق على من كان يزدري الصناعة والحرف. فكانوا يخافونهم في الحروب، ويهابونهم عند القتال، لامتلاكهم أسلحة لا يملكونها هم. وكانوا يلجؤون إليهم لتنصيب رئيس منهم عليهم. تهابه القبائل لصعوبة انصياع القبائل لقيادة رئيس منها، بسبب التحاسد القبلي، كما كانوا يخضعون لحكم أهل اليمن بسبب تفوقهم عليهم في السلاح وفي الثقافة إلى غير ذلك من أسباب ترجع في الواقع إلى الطبيعة التي عطفت على اليماني وعلى العربي الجنوبي، ففوقته على الأعراب[1].

من أعراف العرب:

سادت المجتمع العربي قبل الإسلام قيم وأعراف معينة، كانت جذورها ضاربة في الحياة القبلية، وكانوا يعتزون بها كل الاعتزاز ويحترمونها أشد الاحترام. وللأعراب بصورة خاصة أعراف أوجبت الطبيعة عليهم إطاعتها والعمل بها لأن في تنفيذها مصلحة الجميع، وفي الخروج عليها ضرراً بالغاً. وهذه الأعراف هي:

الثأر:

ليس في البادية من يحول بين قتل الناس بعضهم بعضاً إلا الأخذ بالثأر، وقيام أهل القتيل والعصبية بالأخذ بدمه. ولولا الخوف من الأخذ بالثأر لعمَّ القتل الحياة: فالحياة في البوادي وفي أكثر أنحاء جزيرة العرب شدة ومحنة وفقر وقسوة، وليس في البادية أي خير كان مما يستمتع به أهل الحواضر، ولا سيما تلك التي امتازت بوفرة الماء فيها وبحسن جوّها واعتداله. لذلك صارت حياة الأعراب ضنكاً في العيش وفقراً

١- جواد علي، ج٤، ص ٢٧٩-٢٨٠.

مراً، وصار كل شيء تقع عليه عين الأعرابي ذا قيمة وفائدة عنده مهما كان تافهاً، فيريد الاستيلاء عليه وسلبه من صاحبه، لأنه محتاج إليه وفقير، ويرى أن من حقه أن يستولي على كل ما يراه عند من هو أضعف منه، وإن أدى ذلك إلى إزهاق حياته. ولكن الطبيعة التي علمت الأعرابي هذا المنطق ودرسته هذا الدرس، درسته في الوقت نفسه أن الاستهتار بالسلب والنهب والقتل، يؤذيه ويهلكه، وإنه لا بد من الحد من غلوائه ومن أعدائه على غيره، ووضعت له حدوداً وقيوداً من طبيعة هذه الحياة التي يحياها. منها عرف (العصبية)، والأخذ بالثأر، وغير ذلك من أعراف أملتها الطبيعة على سكان هذه البوادي، وصارت سناً متبعة بعضها يتعلق بالأعراف التي تخص داخل القبيلة، وبعضها يتعلق بالأعراف التي تتعلق بالقبائل المتحالفة، ومنها ما يتعلق بالأعراف التي تكون بين القبائل المتعادية[1].

والقاعدة عند العرب أن الدم لا يغسل إلا بالدم، وأن تعويض الدم بمال يرضى عنه (آل) القتيل، منقصة وذلة لا يقبل بها إلا ضعاف النفوس. أما أهل البيوت والحمولة، فلا يقبلون إلا بالقصاص وبأخذ الثأر، وبقتل رجل كفء يكافئ المقتول في المنزلة والدرجة والمكانة، فإذا كان القتيل سيد قبيلة والقاتل من عامة الناس أو من عبيدهم، أبوا الاكتفاء بقتله به اقتصاصاً منه، إذ إنه دون القتيل في المنزلة والشرف والمكانة، بل لا بد عندهم بقتل سيد من سادات القبيلة التي يكون منها القاتل، على أن يكون مكافئاً للقتيل، حتى يغسل الدم. وإن كان ذلك السيد بعيداً عن القاتل ولا صلة له به. فالسيد سيد ولا يغسل دمه إلا بدم سيد مثله. ولعل الطبيعة وضعت لهم هذه السنة لتأديب سادات القبيلة وغيرهم، ممن قد يحرضون العبيد أو غيرهم من السوقة على قتل خصومهم سفكة الدماء من أتباعهم ولاحقوهم، وبذلك ينظفون المجتمع منهم، ويخلصون الناس من سفاكي الدماء.

والأصل في القتل: القصاص، وقتل القاتل بدل القتيل. فيطالب أهل المقتول بالعود وهو قتل النفس بالنفس.

ولا يستقر لأهل القتيل قرار إلا بعد الأخذ بثأر القتيل. وقد يتركون الخمر والطيبات ولا يقربون النساء طوال طلبهم للثأر. وقد يلبسون ألبسة الحزن ويجزون

١- جواد علي، المفصل، ج٤، ص ٣٩٨-٣٩٩.

شعورهم، ولا يأكلون لحماً ولا يميلون إلى ضحك ولا سماع دعابة ولا إلى الاستراحة، حتى ينالوا منالهم من الأخذ بثأر القتيل.

وقد يستغرق طلب الأخذ بالثأر عشرات السنين، لا يكل في خلال هذه المدة أصحاب القتيل عن إدراك الثأر، وقد يلحق بهم وبنسلهم العار من هذا الإهمال، وقد يلحق ذلك العشيرة أو القبيلة برمتها ويكون لها سُبّه، إذا كان القتيل من أشرافها أو من سادتها. لهذا لا يتهاون أهل القتيل عن تتبع آثار القاتل أو أقربائه أو أفراد قبيلته التي ينتمي إليها لغسل هذا العار، فإن الدم لا يغسل إلا بالدم[1].

ويشبه الثأر أن يكون عقيدة من العقائد الدينية عند العرب. لما يكتنفه أحياناً من (حلف) و(قسم) بوجوب الأخذ بالثأر. ولما تحوط به شعائر يحافظ عليها، من أخذ على نفسه القسم بوجوب الأخذ بالثأر. وهي من شعائر الدين عند الجاهلين. ولا يتركها يبر بقسمه.

الاستغاثة: (إغاثة الملهوف)

ومن مظاهر العصبية: الاستغاثة. وهي أن يصيح الإنسان وا غوثاه. طلباً للعون والنصرة. وعلى من يسمع نداء الاستغاثة من أهل المستغيث أو من رجال قبيلته أو الحلف الذي تكون قبيلته فيه مد يد العون له ونصرته. ويعاب من يسمع الاستغاثة فلا يعمل على مساعدة المستغيث. وقد يهجو المستغيث قومه إذا تباطؤوا في إغاثة المستغيث أو لم يستجيبوا لندائه، وقد يتبرأ منهم ويتركهم ليلحق بقوم آخرين.

ومن أخلاق الجاهلية المناداة بالنصرة، وهي وجه من وجوه العصبية. ذكر أن الرسول قال: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، وتفسيره أن يمنعه من الظلم إن وجده ظالماً. وإن كان مظلوماً أعانه على ظالمه. والتناصر، التعاون، وقد حول الإسلام نصرة الجاهلية إلى تناصر، أي تعاون وتعاضد لأن المسلمين إخوة. ويكون بالانتصار من الظالم وبالانتصاف حتى يؤخذ بحق المظلوم من الظالم[2].

الوفاء:

وعلى الإنسان الوفاء لأهل عصبيته، ليس له مخالفتهم ولا معاكستهم مهما كانت درجة الخلاف بينه وبينهم، لأنه واحد، وهم جماعة، إن أصابه ضيم فلا بد

١- جواد علي، المفصل، ج٤، ص ٤٠٠.

٢- المصدر السابق، ص ٤٠٢.

لجماعته من مواساته ومن الانتصار له مهما كانت أسباب الفرقة. وما يصيب جماعته سيصيبه، وما سيصيبه، سيؤثر في جماعته حتماً، فيجعلها إلى جانبه في الأخير.

فإذا أعطى رجلاً عهداً، فلا يسعه أن يغدر به، ولا بد له من المحافظة على العهد وما برح العرب يحافظون على عهودهم حتى اليوم. وقد يضحي الإنسان بنفسه على أن يخدش سمعته فيوسم بالغدر. وكانوا في الجاهلية إذا غدر الرجل رفعوا له في سوق عكاظ لواء (الغدرة) ليعرفه الناس. وقد ورد (أن لكل غدرة لواء) ونصب اللواء في المواضع العامة وفي المواسم للإشارة إلى غدر شخص بشخص آخر من أشهر الأشياء عند العرب.

وإلى هذا اللواء أشار (الحادرة)، (قطبة بن أوس) إذ قال:

أسُميَّ ويحك هل سمعت بغدرةٍ رفع اللواء لنا بها في مجمع

وإذا غدر الرجل بجاره، أوقدوا النار بمنى أيام الحج على أحد الأخشبين، ثم صاحوا: (هذه غدرة فلان) ليحذره الناس. وقد قيل لهذه النار:

نار الغدر.

وربما جعلوا للغادر مثالاً من طين، ينصبونه ليراه الناس، وكانوا يقولون: ألا أن فلاناً قد غدر فالعنوه. فهذا التمثال، هو تمثال الغدر والخيانة، نصب ليقف الناس على خير غدر الشخص الذي نصب له[1].

العرض:

عرض الإنسان أشرف شيء بالنسبة له في هذه الحياة. ومن العرض صيانة أعراض الناس، لأن من ينتهك عرض غيره، ينتهك الناس عرضه ويعرض نفسه وماله وأهله للتهلكة. فقد لا يصبر شخص أهينت كرامته على هذه الإهانة فينتقم ممن تعرض به شر انتقام. أن لم يتمكن هو بنفسه، ساعده في أخذ حقه أهل عصبته ورجال قبيلته، حتى يثأر لنفسه ممن تعرض لعرضه بسوء.

ونجد في الشعر الجاهلي تبجحاً بالنفس وإشادة في الدفاع عن العرض، وتهديداً ووعيداً لمن يحاول النيل منه بأي سوء. وهو كلام يحمل حساد المتبجح بنفسه على الرد

١- جواد علي، المفصل، ج٤، ص ٤٠٣.

عليه وعلى الطعن فيما قاله. وبذلك تتولد خصومة قد تطول وتكبر وتؤدي إلى سقوط قتلى كانوا في غنى عنها لولا هذه الحمية الجاهلية القائمة على التفاخر والتباهي والزهو والحمق[1].

الحرية:

والعربي مجبول على الحرية، وهو لا يطيق الخضوع لأحد غير قبيلته على أن لا يؤثر ذلك في حريته الشخصية. والأعرابي يشهر، وهو في الحضر بين سكان القرى والمدن، أنه في سجن لا يطاق، لكثرة القيود التي تقتضيها عادات المتحضرين، ويسعى للعودة إلى وطنه حيث ينطلق حراً كما يشاء.

والقبائل تشعر هذا الشعور نفسه، فهي تعيش متمتعة بأعظم قسط من الحرية، لا تضحي بها، إلا لمقتضيات المحافظة على الحياة حيث ترتبط بواجبات التحالف مع القبائل الأخرى للدفاع عن النفس وضمان ضروريات الحياة.

ولما كان لكل شيء حد نهاية، غدت هذه الحرية أنانية شديدة، وفردية مطلقة حالت دون تعاون الأفراد، ومنعت من مساعدة القبائل بعضها بعضاً مع وجود خطر أجنبي داهم، وحالت دون تكون المجتمعات الكبرى وهي الحكومات، واقتصرت التنظيمات السياسية على القبائل، وأصبحت العصبية للقبيلة تعني القومية. وزاد في حدة هذه الأنانية القبلية اعتقادهم إلى الأنساب فلا تتعصب القبائل إلا لتلك القبائل التي تعتقد إنها وإياها من شجرة واحدة وأصل واحد.

إن الحياة الصحراوية التي طبعت أصحابها بطابع الإفراط في حب الحرية الفردية، قد أثرت كثيراً في الحياة السياسية والتفكير السياسي في بلاد العرب، فاقتصرت الأفعال السياسية على أفعال القبيلة، وتراجع الفرد بل الأهل والعشيرة تجاه القبيلة، وأثرت في أشكال الحكومات التي تكونت في الأماكن الخصبة وبين المتحضرين، فجعلت منها اتحاداً مع قبائل جمعت بينها مصالح متشابهة ومنافع مشتركة. فإذا ما شعرت بزوال مصلحتها أو أن من مصلحتها الانفصال عن هذا الاتحاد فلا تتوانى عن تنفيذ رغباتها وتحقيقها بالقوة، ولهذا نجد القبائل تهيج وتثور على

١- جواد علي، المفصل، ج٤، ص ٤٠٨.

الحكومات التي تخضع لها، وتدين بالولاء لها، لأسباب تافهة منبعها ومبعثها هذه الأنانية الضيقة التي تدفع سادات القبائل إلى الانفصال والخروج من عبودية الخضوع لحاكم، عليهم تقديم واجب الإخلاص والطاعة له.

ويصعب في الحقيقة التوفيق بين الفكرة القبلية والفكرة القومية التي تسمو فوق القبائل، فالفكرة القبلية لا تعترف بوجود قومية غير قومية القبيلة، ولا ترى وجود وطن غير الوطن الذي تنزل فيه القبيلة. فإذا ارتحلت عنه، وحلت في أرض أخرى أصبحت هذه الأرض وطن القبيلة الجديد، الذي يجب أن يدافع عنه. أما الأوطان الأخرى، ومنها وطن القبيلة السابق، فليست بأوطانها. ومن هنا كان بون شاسع بين هذه الفكرة الوطنية الضيقة، وبين الفكرة القومية التي تدين بعقيدة الإيمان بالقوم أو الجنس الذي هو فوق القبائل والأمكنة، وبالوطن العام الذي يشمل كل الأرضين التي يستوطنها ذلك الجنس.

وقد جابهت الحكومات العربية في الجاهلية ثم في الإسلام متاعب كثيرة من الروح القبلية العنيفة، ومن الفردية المتطرفة، فكانت هذه من أهم عوامل هدّ المجتمعات السياسية الكبرى في بلاد العرب، وكانت من أعنف أعداء القومية العربية، لا في الجاهلية وحسب، بل في الجاهلية وفي الإسلام كذلك[1].

المروءة:

تشمل المروءة تقريباً جميع العادات العربية النبيلة مثل الحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعة الصدر والإعراض عن شتم اللئيم والغض عن العوراء. فهي الطبيعة الصالحة في المرء ولعلها ترادف الفطرة في المفهوم الإسلامي. وفي لغتنا الحديثة هي أقرب ما نسميه بالعمل الإنساني.

والمروءة مرتبطة بالسمعة، وقد اهتم الجاهلي كثيراً بأمر سمعته، لذلك نرى أحدهم افتخر على خصمه في إحدى المفاخرات أنه خير من خصمه ذكراً.

والعرب تحاشوا سوء الأحدوثة التي تصم صاحبها بالعار ويندى منها جبينه بين أفراد قبيلته.

١- جواد علي، المفصل، ج٤، ص ٤٠٩.

الجوار:

للجوار أهمية كبرى عند الجاهليين وتقدير وحرمة. فإذا استجار شخص بقبيلة أو بشخص آخر وجبت بلا ريب حمايته. وحق على المستجار به الدفاع عن مجيره مهما كلفه الثمن وإلا عد ناقضاً للعهد، ناكثاً بالوعد، مخالفاً لتقاليد عريقة عند العرب.

وقد ورد في كتب اللغة: يقال للذي يستجير بك (جار) والجار الذي أجرته من أن يظلمه ظالم، وجارك المستجير بك، والمجير هو الذي يمنعك ويجيرك. وأجاره: أنقذه من شيء يقع عليه. وقد أعزوا الجار والحليف حتى أنه كان يعد من العشيرة، ولذا كان المجير يرثه في ماله. وتمادوا في حماية الجار حتى حمايته من الموت، فإذا مات دفع حاميه ومجيره الدية إلى أهله.

يشكل الجوار بهذا المعنى نظاماً من أكثر النظم شيوعاً في المجتمع العربي قبل الإسلام، ومن أبلغها تأثيراً في حياته اليومية. فنحن لا نكاد نقرأ شيئاً من الشعر الجاهلي، أو نطالع شيئاً عن أيام العرب في الجاهلية، أو نتعرف على شيء من قصصهم أو نوادرهم إلا ونجد حديثاً عنه أو إشارة إليه من قريب أو بعيد. ولا شك أن أهمية هذا النظام ترجع في أساسها إلى افتقاد العرب قبل الإسلام لسلطة مركزية تقر الأمن وتفرض النظام وتكف القوي عن البطش بالضعيف، وتأخذ للمظلوم حقه من الظالم.

فالجوار كان نظاماً أوجدته ضرورات الحياة العربية، كبديل للسلطة المركزية. ونظراً لما كان لهذا النظام من أهمية بالغة في حياة العرب نجدهم يجعلون من احترام مقتضياته واجباً يكاد يكون مقدساً. فهم يفخرون به على غيرهم من الشعوب التي لا تعرفه، ويوصي ساداتهم وأشرافهم أبناءهم بضرورة مراعاته، ويكيل الشعراء الثناء والمدح لمن يحترم جواره، ويهيلون الذم والهجاء على رأس من يغدر بجاره[1].

قال عامر بن صعصعه يوصي بنيه: «يا بني جودوا ولا تسألوا الناس، واعلموا أن الشحيح أغدر من الظالم، وأطعموا الطعام، ولا يستذلن لكم جار»[2].

١- د. محمود سلام زناتي، نظم العرب قبل الإسلام، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٣-١١٤.

٢- الميداني، مجمع الأمثال، ص ١٦٣.

الكرم:

اشتهر العرب بالكرم فكانوا، لا سيما البدو منهم، يسارعون إلى الترحيب بالضيف وتقديم القرى له. وفي سبيل ذلك لم يكونوا يتوانون عن التضحية بأغلى ممتلكاتهم وأعزها عليهم. وكان قري الضيف وإكرامه يعد من أهم وأسمى واجباتهم الاجتماعية. وإذا أخل أحدهم بواجبه في هذا الصدد ألحق بنفسه وذويه العار والاحتقار، بل لعل الخروج على هذا الواجب كان يعرض الخارج عليه للنبذ والمقاطعة.

وكان الفخر بإكرام الضيف واستقباله بالبشاشة والترحاب وإحاطته بالعناية والرعاية من أكثر عناصر الشعر شيوعاً في الجاهلية. قال حاتم الطائي:

يقولون أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيداً

وقال عروة بن الورد:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع

وكان من عادة الأجواد إبقاء النار في الظلام ليراها الغريب والمحتاج والجائع من مسافة بعيدة فيفد إليها، فيجد له من يقريه ويقدم له ما يحتاج إليه من طعام. ويقال لها (نار القرى) و(نار الضيافة) وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة، لتكون أشهر.

ولا شك أن واجب الضيافة قد أملته على العرب ظروف حياتهم، فهم يعيشون في الأغلب الأعم في مناطق صحراوية يقل فيها الماء والغذاء. ويتعرض المسافر فيها للهلاك بسبب الجوع والعطش، ومن ثم كان تقديم الطعام والشراب للمسافر واجباً تفرضه ضرورات الحياة البدوية.

وعلى الرغم من احتفاظ العرب الذين تحضروا وسكنوا القرى والمدن بعادة الكرم وقري الضيف، فإن ثمة شواهد تدل على أن هذه العادة تفقد مع التحضر الكثير من قوتها. وأوضح مثال على ذلك (مكة) التي غلب عليها الطابع التجاري، وضعفت فيها روح البذل والعطاء[1]. وهناك سبب آخر للضيافة والكرم فهو وسيلة من وسائل السيادة والجاه. والعرف عند العرب أن الضيافة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، فإذا انتهت المدة سقط حق الضيافة من رقبة المضيف إلا إذا جددها، وزاد عليها. ويعبر عن

١- جواد علي، المفصل، ج٤، ص ٥٨٢.

منزلة الضيف عند المضيف بعبارات عديدة منها: (بيتي بيتك) وعلى الضيف بالطبع أن يتأدب بأدب الضيافة، فيصون حرمة بيت مضيفه[1].

وكان فصل الشتاء محكاً للأجواد، فهو فصل البرد وعدو الفقير، فالصيد يقل عنه، والرياح والبرد تؤلمه، والأعشاب تزول. فلا يجد أمامه من ملجأ إلا أهل الجود والسخاء، الذين كانوا يدنون الناس إليهم ويطعمونهم فيقتلون بذلك جوع الشتاء. ولهذا عرف الواحد منهم بـ (قاتل الشتاء). قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

وإن صخراً لكافينا وسيدنا وإن صخراً إذا نشتو لنحارُ

وكان حاتم يأمر غلمانه بإيقاد النار إذا ما أطفأ البخيل ناره، ومما قال لأحد غلمانه في ليلة باردة: «أوقد ليرى نارك من يمر، وإن جاءنا ضيف فأنت حر».

والكرم سلوك علمي قد لا يتطلب ثراءً فاحشاً لكي يقري المرء ضيفه. فحسن الملاقاة والرعاية قد تكفي لمسح العناء عن الضيف. وقد تدور الدوائر بالإنسان في وطن يتفتت تحت أقدام بنيه، وقد يقف المضيف الموقف نفسه سائلاً، غريباً، يطلب حسن الملاقاة قبل القري[2].

الخلع:

يبقى الفرد متمتعاً بعطف قبيلته عليه، وبحمايتها له ما دام قائماً بواجباته المترتبة عليه، شاعراً بعظم التبعية. فإذا أجرم، أو عمل عملاً ينافي شرفه أو شرف قبيلته، واستمر في غيّه لا يسمع نصائح أهله وعشيرته، كاسراً أعراف آله وقبيلته، فقد عصبية أهله وقبيلته له، وهام على وجهه طريداً يلتمس مجاورة رجل من عشيرة أو قبيلة أخرى قريبة من موطنه أو بعيدة عنه. وتكون هذه الفترة من حياة الإنسان شر فترة في حياته، ولا يهدأ للطريد بال إلا إذا وجد له حليفاً أو جاراً يتعهد له بحمايته وببذل (العصبية) له، وبالدفاع عنه.

ويقال للرجل الذي تغضب عليه قبيلته وتحرمه عطفها وعصبيتها له (الخليع)، ويقال ذلك لمن يخلعه أهله أيضاً. وقد يقال له (الرجل اللعين). واللعين هو المطرود، ولذلك يقال له (الطريد)، إلى غيرها من مصطلحات[3].

١- د. محمود سلام زناتي، نظم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ١٧-١٨.

٢- المصدر السابق، ص ٢٠-٢١.

٣- جواد علي، المفصل، ج ٤ ص ٤١٠.

وربما خلعوا الرجل من القبيلة ولو كان من صميمها، ويسقط عن أهله وقبيلته كل واجب يترتب عليهم أو عليها إذا عمل عملاً يستوجب خلعه، كما تسقط عن القبائل التي قد تتعرض للخليع بشر كل تبعة تقع عليها من الاعتداء عليه، لخلع أهله أو قبيلته له، وتبرئهم أو تبرئها منه، فلا يطالبون بثأر.

ولا بد من إعلان خلع أهل (الخليع) أو خلع قبيلته له وتبرئها منه، ليكون ذلك معلوماً عند أفراد قبيلته أو القبائل الأخرى، فتسقط العصبية عندئذ عن (الخلع) عند إعلان قرار الخلع، وإلا بقيت في رقبة أولياء أمره وقبيلته، وذلك كأن يعلن الأب في المواضع العامة وفي المواسم أنه خلع ابنه، بأن يقول: ألا، أني قد خلعت ابني هذا، فإن جرَّ لم أضمن، وإن جرَّ عليه لم أطلب.

أو يعلن قومه: إنما خلعنا فلاناً، فلا نأخذ أحداً بجناية تجنى عليه، ولا نؤخذ بجناياته التي يجنيها.

وقد كان الحج من المواسم المناسبة لإعلان خلع الخلعاء، وكذلك كانت مواسم الأسواق كسوق عكاظ. فهي مواسم تجمع، ينادي فيها المنادي بخلع من يراد خلعه. وكان أهل مكة يكلفون منادياً بالطواف بالأحياء، ينادي بأعلى صوته عن خلع الخليع. وقد يكتبون كتاباً يحفظونه عندهم أو يعلقونه في مكان عام ليقف الناس عليه[1].

وقد عاش الخلفاء عيشة صعبة، لا أحد يساعدهم أو يؤويهم خشية أن ينزل بهم أذى، أو يترتب على قبول جوارهم تبعة تجاه من يقتص آثارهم طلباً للثأر منهم. ولذلك تكتل الصعاليك أحياناً وكونوا عصابات تغزو وتغير وتقطع الطريق.

وكان الشاعر (عروة بن الورد) وهو منهم يجمع حوله الصعاليك الفقراء في حظيرة ويغزو بهم ويرزقهم مما يغنمه، ولذلك سمي (عروة الصعاليك). ذكر أنه كان إذا شكا إليه فتى من فتيان قومه الفقر، أعطاه فرساً ورمحاً، وقال له:

إن لم تستغن بهما فلا أغناك الله.

والصعلوك الفقير الذي لا مال له. ومن الصعاليك (السليك بن السلكة) الشاعر العداء. وهو من العدائين الذين ضرب بهم المثل في العدو. وكان (حاجز بن عوف بن

١- الأغاني، ج٨، ص ٥٢.

الحرث)، وهو شاعر جاهلي مقل، أحد الصعاليك العدائين. وكان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل. وكان يغير على قبائل العرب[1].

وكان (قيس بن الحدادية) من الشعراء الصعاليك الفاتكين الشجعان. خلعته خزاعة بسوق عكاظ، وأشهدت على نفسها إياه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه.

وقد كوّن الصعاليك عصابات تنقلت من مكان إلى مكان تسلب المارة وتغير على أحياء العرب، لترزق نفسها ومن يأوي إليها. انضم إليها الصعاليك من مختلف القبائل. ولكون أكثر الصعاليك من الشبان الطائشين الخارجين على أعراف قومهم، ومن الذين لا يبالون ولا يخشون أحداً، صاروا قوة خشي منها، وحسب لها حساب. بخاصة وفيها شعراء فحول، يحسنون الهجاء ويتقنون فن ثلب الأعراض، وفيها مقاتلون شجعان لا يعبأون بالموت، يفتكون بمن يريدون الفتك به. وخافهم الناس وامتنعوا جهد إمكانهم من التحرش بهم ومعاداتهم، ومنهم من قبل جوار الصعاليك ورد عنهم وأحسن إليهم، فاستفاد منهم واستفادوا منه[2].

١- الأغاني، ج١٢، ص ٤٧.

٢- جواد علي ج٤، ص ٤١٣.